مأساة الفلسطينيين في بيت المقدس والعراق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

إن المتأمل في أحوال الأمة العربية والإسلامية يرى أنها تعيش في ظلال أيام صعبة، من غزو لبعض الأقطار، مثل العراق، وحصار للبعض الآخر، وتهديد ووعيد لأقطار أخرى، وها هو شعبنا الفلسطيني يعيش ظروفاً غاية في الصعوبة، فما نراه يومياً من قتل وتشريد ودمار لا يخفى على أحد.

لقد قامت الجرافات الإسرائيلية أول أمس الأربعاء بهدم منزلين في صور باهر بالقدس، كما هددت أصحاب عشرين منزلاً بأنها معرضة للهدم في الأيام المقبلة، كل ذلك يتم بحجج واهية، مثل عدم الترخيص وغير ذلك، وهل صاحب الأرض بحاجة إلى ترخيص؟ ومتى؟! ولماذا لا يعطى الترخيص اللازم لبناء بيت يؤوي أولاده؟! بينما تمنح التراخيص للأجانب الذين يؤتى بهم من كل أنحاء العالم، ليسكنوا بدلاً من أصحاب الأرض الأصليين، فأين العدالة يا أصحاب الحضارات الزائفة، والشعارات الكاذبة؟!!

نحن في هذه الأيام بحاجة إلى وقفة تأمل ننظر فيها إلى حاضر العالم الإسلامي، كي نلتقط العبر والعظات، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لأخذ العبر والعظات.

لقد اقتضت إرادته سبحانه وتعالى أن يختبر المؤمنين، ليميز الله الخبيث من الطيب، وليظهر الحق من الضلال، تلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، بعض الناس -وللأسف- يتصورون أن الابتلاء الإلهي هو غضب من الله، وهذا تصور خاطئ لما ورد في الحديث: "أيُّ الناس أشدُّ بلاء يا رسول الله؟ فقال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان رقيق الدين ابتلي حسب ذاك، وإن كان صلب الدين ابتلي على حسب ذاك، فما تزال البلايا بالرجل حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"(١).

في هذه الأيام يدور الحديث عن فلسطين قلب العالم العربي والإسلامي، وعن جوهرتها مدينة القدس، ولؤلؤتها المسجد الأقصى المبارك، والناس في أحاديثهم مختلفون بين متفائل ومتشائم، وفلسطين هي أرض وقف إسلامي عبر التاريخ الإسلامي المشرق ، حيث إنَّ مدينة القدس قد فتحها المسلمون مرتين:

أما الأولى فكان الفتح الروحي عبر حادثة الإسراء والمعراج، عندما صلى محمد -عليه الصلاة والسلام- إماماً بالأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-.

فأرض فلسطين هي موطن الإسراء والمعراج، وهي قبلة المسلمين الأولى، وهي جزء من عقيدتهم، وهي أرض المحشر والمنشر.

وأما الفتح الثاني فكان الفتح السياسي عندما فتحها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-، في العام الخامس عشر للهجرة، وتسلم مفاتيحها من بطريرك الروم صفرونيوس، وكانت العهدة العمرية التي تمثل لوحة فنية في التعامل بين المسلمين والمسيحيين على أرض فلسطين الغالية.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد ٤/٦٠١-٦٠٢ .

أقول ذلك ونحن نستمع في هذه الأيام لبعض الادعاءات الباطلة والأقاويل الزائفة، بأن مدينة القدس لم تكن يوماً عاصمة للفلسطينيين، وظنَّ هؤلاء أن هذه العبارات تستطيع أن تمحو تاريخ أمة وأن تزيل آثار قرون خلت.

إنّ جذور الفلسطينيين ضاربة في هذه البلاد منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، فالقدس هي مدينة فلسطينية عربية إسلامية كانت وما زالت وستبقى، حافظ المسلمون خلالها على المقدسات الإسلامية والمسيحية، ولم يعتدوا على أي بيت للعبادة، لأنَّ رسالة الإسلام هي رسالة الحب والإخاء والصفاء، واستمعنا أيضاً إلى تصريحات بعض المسئولين الإسرائيليين، الذين يقولون فيها بأنه لا يجوز أن تسند مهمة الإشراف على المسجد الأقصى المبارك إلا لليهود، قلت: يا سبحان الله، المسجد الأقصى المبارك مسجد إسلامي ليس بقرار من الأمم المتحدة أو من مجلس الأمن، المسجد الأقصى مسجد إسلامي بقرار رباني.

هذا القرار الثابت لن يلغيه أي قرار يصدر من هنا وهناك: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**[1].

القدس هي عاصمة فلسطين عبر التاريخ، كيف لا؟! وهي مهوى أفئدة المؤمنين الذين يفدون إليها من كل بقاع العالم.

إننا نقول لأشقائنا العرب والمسلمين بأن أبناء الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية بدينهم متمسكون، وعن عقيدتهم مدافعون، وهم يبغون

(١) سورة الإسراء، الآية (١).

العدالة لقضيتهم، العدالة التي تعيد الحقوق كاملة لأصحابها الشرعيين، إنّنا نأمل من أشقائنا أن يقفوا معنا في ساعات الشدة فقضية القدس هي قضية كبرى تحتاج إلى تضافر الجهود وإلى رصّ الصفوف وإلى تجميع القوى العربية والإسلامية، بل والعالم أجمع، كي يعود الحق لأصحابه، أما أن نظل متفرقين ونستمع إلى خطب رنانة وإلى استنكارات يومية، فهذا لا يسمن ولا يغني من جوع.

إن المسلم أخو المسلم، وإن المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ويجب على الجميع أن يرصوا الصفوف، وأن يجمعوا الشمل حتى تُحرر القدس وتعود كما كانت فلسطينية عربية إسلامية.

مأساة الفلسطينيين في العراق

إن الهجمة الشرسة التي يتعرض لها أبناء شعبنا الفلسطيني في العراق لا تخفى على أحد، فالفضائيات ووسائل الإعلام ذكرت ذلك، حيث إنّ وسائل الإعلام قد تحدثت عن مجزرة ترتكب ضد الفلسطينيين في منطقة البلديات في المجمع السكني الفلسطيني في بغداد، حيث تقوم قوات الاحتلال الأمريكي، والمجموعات العراقية بمهاجمة الفلسطينيين، حيث استشهد عدد منهم، واعتقل العشرات، وحوصرت البيوت، وهذا كله امتداد للاعتداءات اليومية على الفلسطينيين في العراق.

لذلك فإننا نتوجه إلى الشعب العراقي الأبي بعلمائه، وقادته ورجاله، هذا الشعب الكريم نقول لهم: إن إخوانكم الفلسطينيين الذين يقيمون على أرض العراق هم أشقاؤكم، جاءوا لمساعدتكم في إعمار العراق الحبيب، فالعراق بلاد العروبة والإسلام، والعراق وفلسطين تجمعهما ظروف مشتركة، ولطالما وقف

العراقيون مع أشقائهم في فلسطين، فنوصيكم بـإخوانكم أهـل الربـاط، أهـل فلسطين، المقيمين على أرض العراق والمحرومين من العودة لوطنهم فلسـطين خيراً، والله يحفظ العراق وشعب العراق من كل سوء.

كما نتوجه إلى أمتنا العربية التي سيجتمع قادتها قريبـاً بالمملكـة العربيـة السعودية، وإلى زعماء العالم الإسلامي، والعالم الحر، لأن يعملوا على حمايـة الفلسطينيين مما يتعرضون له يومياً على أرض الرشيد، وأن يقوموا بنقلهم إلى أماكن آمنة حتى يأتي الوقت المناسب ليعودوا إلى أرضهم المباركة في فلسطين الحبيبة.

لقد سقطت بغداد قبل قرون خلت، ودخلها التتار، وعاثوا فيها فساداً، ورحل الغزاة، وبقيت بغداد قوية شامخة، وها هي سنة التاريخ، الغزاة يرحلون، ويبقى الوطن وأهله، فنحن قوم لا نعرف اليأس، وكلنا ثقة وأمل بالله -عـز وجـل- الذي يغير ولا يتغير، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وفي الختام نتوجه إلى أبناء شعبنا المرابط، ونقول لهـم: إن المصـائب يجمعن المصابينا، فمزيداً من الوحدة، والتلاحم والتكـاتف، والتكافـل، ورصّ الصفوف وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة ولنكن إخوة متحابين، فليس لنا خيار غير ذلك، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا.

والله الهادي إلى سواء السبيل

تكريـم الإسلام للمـرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، على آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفـى أثـرهم، وسـار علـى دربهـم إلـى يـوم الـدين، أما بعد:

فيحتفل العالم في الثامن من آذار من كل عام بذكرى يوم المرأة العـالمي، ونحن في كل مناسبة نبين وجهة نظر الإسلام كي يكون المؤمن على بينة مـن أمره.

إن وضع المرأة قبل الإسلام كان سيئاً، فالبعض لا يعتبرهـا مـن البشـر، والبعض الآخر يحرمها من أعز حقوقها، وهو حق الحيـاة، وهنـاك الأنكحـة الفاسدة التي تقلل من شأن المرأة بل تهدد كرامتها ...إلخ.

وأريد في مقالي هذا إظهار مدى عناية الإسلام بالمرأة، حيث إن الإسلام منذ أن أشرقت شمسه، وعمّ نوره الكون، قد عني بالمرأة عناية كبيرة لا مثيل لها.

فالحقيقة التي يسجلها التاريخ أن الإسلام أعطى المرأة من الحقوق مـا لـم تعطها لها القوانين والتشريعات الحديثة، فمع بزوغ فجر الإسلام عادت للمـرأة كرامتها وحقوقها.

لقد كرم الإسلام المرأة تكريماً عظيماً: **{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِـيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى}**[1]، فكانت الخطوة الأولى أن حرّم الإسـلام

(١) سورة آل عمران ، الآية(١٩٥)

وأدهن: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}[1]، حيث كان الواحد منهم يئد ابنته وهي حية: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}[2]، كما وجعل الإسلام لها عقيقة تستقبل بها حين ميلادها: (كل غلام مرتهن بعقيقته، تذبح عند يوم سابعه، ويحلق رأسه، ويسمى)[3].

إن الشريعة الإسلامية قد أنصفت المرأة، ووضعتها في المكانة اللائقة بها كإنسان كرمه الله، وجعل بقاء النوع الإنساني مرتبطاً بوجودها مع الرجل، ولا يمكن أن تقوم الحياة على أساس من وجود أحدهما دون الآخر، لأن هذا يعني فناء العالم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[4].

كما وسوّى الإسلام بينها وبين إخوتها في المعاملة، وإذا أحسن الأب تربية ابنتين أو ثلاث بنات كُنَّ له حجاباً من النار لقوله- صلى الله عليه وسلم -: (من كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته، كن له حجاباً من النار يوم القيامة)[5]، كما وجعل لها حق التعليم مصداقاً لقوله عليه السلام: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[6].

---

(١) سورة التكوير ، الآيتان(٨-٩)

(٢) سورة النحل، الآيتان(٥٨-٥٩)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأضاحي ١٠١/٤

(٤) سورة النساء ، الآية(١)

(٥) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الأدب باب بر الوالد والإحسان إلى البنات ١٢١٠/٢ رقم الحديث ٣٦٦٩

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب المقدمه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ /٨١ رقم الحديث ٢٢٤

وقد ورد في كتب السيرة والحديث أن الرسول عليه السلام قد خصص للنساء يوماً يعلمهن فيه أمور دينهن.

وأعطى الإسلام المرأة حقوقها السياسية في قوله تعالى: {**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}(١).

كما ومنحها الإسلام حقوقها الاجتماعية، وأعلن وجوب مشاركة المرأة للرجل في بناء المجتمع، فقرر لها حق ولاية الأعمال التي تأمر فيها بالمعروف وتنهى عن المنكر...وحقها في تولي المناصب أيًّا كانت ما دامت تقيم فيها حدود الله، وذلك صراحة بالآية الكريمة: {**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}(٢).

كما وبين الإسلام أن الزواج يقوم على أساس من المحبة والرحمة بقوله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}(٣)، لذلك فقد أعطى الإسلام الفتاة حق اختيار الزوج-بكراً أو ثيباً – فقال عليه السلام: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت)(٤)، وعلى الآباء وولاة الأمور أن يستمعوا إلى رأي فتياتهم وبناتهم

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية(١٢)

(٢) سورة التوبة ، الآية(٧١)

(٣) سورة الروم ، الآية(٢١)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح ١٠٣٦/٢

خصوصاً عندما تكون الواحدة منهم متدينة ورزينة العقل وتدرك مصلحتها طبقاً للشريعة الإسلامية.

كما وجعل الإسلام لها وليمة يوم عرسها، وأكرمها بمسؤولية الرجل عنها، كما وأعطاها حق الزواج عليها مع بقائها زوجة، وأرشد إلى وجوب العدل بين الزوجات، لا كما تفعل الديانات الأخرى بضرورة تطليق الأولى قبل الزواج بالثانية، كما ومنع الإسلام الزنا إكراماً لها.

ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة أن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم النساء خاصة، بيّن فيها كثيراً مما لهن من حقوق وما عليهن من واجبات.

وقد بيَّن القرآن الكريم، كما بيّنت السنة المطهرة من الأحكام والآداب، ما يقضي بأن النساء والرجال سواء في العمل والجزاء، حيث إن جملة العقائد والعبادات والأخلاق والأحكام التي شرعها الله للإنسان، يستوي في التكليف بها والجزاء عليها، الرجال والنساء.

وقد يسبق الرجل، وقد تسبق المرأة، ولا دخل لصفات الذكورة والأنوثة في تقديم أو تأخير، ولا في مثوبة أو عقوبة، وربما دخل الرجل النار، ودخلت زوجته الجنة، قال تعالى: {**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**}[1].

(١) سورة التحريم، الآيتان (١٠-١١)

وجاء محمد – صلى الله عليه وسلم – بأمر ربه، فأعلن أن النساء شقائق الرجال، وأن الخلق كله من نفس واحدة، المرأة خلقت من جنس الرجل لا من عنصر آخر، فكان هذا فتحاً جديداً، وقضاء على طغيان الرجال على النساء في كل مكان، حيث يقول عليه السلام: (إنما النساء شقائق الرجال)[1].

لقد كانت المرأة منذ فجر الدعوة جنباً إلى جنب مع الرجل، آمنت وتعرضت للتعذيب والإيذاء مثل الرجل، وهاجرت إلى الحبشة فراراً بدينها، وهاجرت إلى المدينة دار الإسلام وحصنه، وجاهدت بكل ما أوتيت من قوة لإقامة الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة المنورة: **{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}**[2].

وقد كانت النساء على عهده – صلى الله عليه وسلم – يغشين المسجد فيشهدن الجماعة مع الرجال، يقول – صلى الله عليه وسلم –: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)[3]، وكُنَّ يشهدن صلاة العيد وصلاة الكسوف والخسوف، وكانت الحياة الاجتماعية الإسلامية شركة بين المسلمين جميعاً رجالاً ونساء، وسيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صفحة مفتوحة لمن يريد أن يلتمس العظة والعبرة.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢٥٦/٦

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٩)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة ٣٨٢/٢

إن المرأة الفلسطينية قد سطَّرت صفحات مضيئة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، فهي أم الشهيد، وزوجة الأسير، وشقيقة الجريح، وابنة المبعد عن وطنه، فهن يصبرن على البلاء، ويرضين بالقضاء، ويشكرن في الرخاء.

الإسلام يوجد به عيدان، عيد الفطر، وعيد الأضحى فقط، وما عدا ذلك فهي مناسبات وذكريات.

إن المرأة الفلسطينية امرأة صابرة على فراق زوجها ، ووالدها ، وشقيقها ، وابنها، لأن لفظ المرأة يطلق على البنت البكر، وكذلك على المرأة المتزوجة، قال تعالى: **{وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ}**(١)، ثم تواصلت الآيات إلى قوله تعالى: **{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ}**(٢).

فألف تحية للمرأة الفلسطينية، وكل النساء المخلصات العاملات لخدمة الوطن والعقيدة، ألف تحية إلى كل أم، وزوجة، وبنت، وأخت، ألف تحية إلى الرجال والنساء العاملين:**{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ}**(٣).

نسأل الله أن يحفظ رجالنا ونساءنا، وأبناءنا وبناتنا، وشعبنا وأمتنا، ومقدساتنا من كل سوء.

وصلى الله على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة القصص، الآية (٢٣)

(٢) سورة القصص، الآية (٢٧)

(٣) سورة التوبة، الآية (٧١)

الإسلام وتكريم الوالدين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

يقول الله تعالى: {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**}(١).

للوالدين في الإسلام منزلة سامية لا تعدلها منزلة، ولا ترقى إليها درجة، ولا يقرب منها حظ ولا نصيب، هذه المنزلة تقتضي الإحسان إليهما، والترفق بهما والعطف عليهما في حياتهما، والترحم عليهما والدعاء لهما بعد موتهما.

وهذا فضل عظيم فاز به الوالدان، حيث قرن سبحانه وتعالى ذكرهما بذكره وشكرهما بشكره، وجاء الأمر بطاعتهما بعد الأمر بعبادته، في أكثر من موضع من القرآن الكريم.

إن بر الوالدين يكون بالإحسان إليهما، والعطف عليهما واحترامهما، وطاعة قولهما لذلك أمر الله به فقال سبحانه :{**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ**

(١) سورة الإسراء ، الآيتان(٢٣-٢٤)

وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[1].

بروا آباءكم تبركم أبناؤكم

اتقوا الله في آبائكم واحرصوا على برهم ورعايتهم، وأداء الحق إليهم، فديننا يأمرنا بقوله: برُّوا آباءكم، تبرُّكم أبناؤكم، وكما تدين تُدان، فأحسنوا إلى آبائكم وهم يدرجون إلى القبور، فلطالما أحسن إليكم آباؤكم وأنتم تدرجون نحو الحياة، وشتان بين إحسان وإحسان!

فقد ورد أن رجلاً جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: " أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك"[2].

وقد رأى ابن عمر – رضي الله عنهما – رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة.

فقال: يا ابن عمر، أتراني جازيتها؟ قال ابن عمر: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً.

قال: "ما جازيتها ولو طلقة"، أي أن حملك إياها على كتفك، وحجك بها على هذا الشكل، لا يصح أن يكون جزاء طلقة واحدة من آلام الولادة.

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"[3].

---

(١) سورة لقمان ، الآية(١٤)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ١٩٧٤/٤، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب ٤٠١/١٠

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ٨٩/١

كما ورد عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً، فيشتريه، فيعتقه"[1].

وجاء في الحديث أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: (رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة)[2].

أخي القارئ: كما تزرع تحصد، وكما تدين تدان، فمن يزرع المعروف يحصد الشكر، ومن يزرع الشر يحصد الندامة، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وهل عاقبة الإساءة إلا الخسران؟ فهناك أبواب كثيرة للخير مع والديك في الدنيا من حسن المعاشرة والبر والإحسان، وتلبية رغباتهم، والسهر على راحتهم، فكم سهرا على راحتك، وقدما المال للإنفاق عليك، وأرشداك لما فيه الخير لك في الدنيا، والآخرة، فقد عدَّ الرسول عقوقهما من أكبر الكبائر، وجعل الحفاظ على راحتهما وخدمتهما كالجهاد في سبيل الله، وغداً ستصبح مثلهما فنحن بحاجة إلى أبناء صالحين يخدموننا ويسهرون على راحتنا، ولا يكون ذلك إلا إذا قدمنا الطيبات والصالحات، لما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما– قال: أقبل رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، قال: "فهل لك من والديك أحدٌ حَيٌّ؟" قال: نعم بل كلاهما، قال: "فتبتغي الأجر من الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العتق ١١٤٨/٢

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ١٩٧٨/٤

تعالى؟"، قال: نعم، قال "فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما"[1].

شتم الوالدين من الكبائر

أخي القارئ: إن من الظلم لنفسك أن تسب أباك أو تجلب له اللعنة، وذلك بأن تشتم آباء الناس فيشتموا أباك أو تسيء إلى الناس فيلعنوا أباك، وتلك لفتة شرعية تدل على أن المسلمين كالجسد الواحد وأن المسلم ليس بطعَّان ولا لعان، فقد قال عليه السلام: "من الكبائر شتم الرجل والديه!"، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: "نعم ، يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه"[2]، وفي الحديث الآخر: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه"، قيل: يا رسول الله، كيف يعلن الرجل والديه؟! قال: "يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه".

البر بعد الموت

وليس بر الوالدين مقصوراً على الحياة فقط، حيث إن بر الوالدين لا ينتهي مع الموت، وإنما خيره يبقى متصلاً بفضل الأبناء الصالحين، فقد ورد عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي – رضي الله عنه– قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ١٩٧٥/٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ٩٢/١

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الإيمان ١٢٠٩/٢

كما وبين الرسول بأنه لو كان على أحد الوالدين دين، أو نذر، أو غير ذلك، فقد أجاز الرسول للولد القيام بذلك.

نداء إلى الأبناء

إن مبدأ بر الوالدين في الإسلام يمثل بالنسبة للبشرية كلها مظلة الأمان الإلهية، التي يقررها للوالدين بعد أن يكون الكبر قد نال منهم ودب الضعف في أوصالهم.

إن حقوق الوالدين في أعناق أبنائهم واجبة الأداء، ولا يمكن للأبناء أن يفوا والديهم حقهم مهما فعلوا وبذلوا ومهما ضحوا وقدموا.

فكيف بأولئك العاقين الشاردين عن طريق الحق؟! البعيدين عن الجادة، العاقين لآبائهم الذين يرسلون آباءهم وأمهاتهم إلى بيوت المسنين كي يستريحوا منهم، وليريحوا زوجاتهم من خدمة والديهم، الويل لهؤلاء، لقد ضلوا ضلالاً مبيناً، وخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

لقد فقد أولئك فرصة عظيمة ينالون بها الأجر والثواب، ويسعدون من خلالها في الدنيا والآخرة، عندما ينعمون برضى الوالدين، فرضى الله من رضى الوالدين، وسخطه من سخطهما.

فما أحوج المجتمعات البشرية إلى الوقوف على مبادئ الإسلام القوية التي تشدُّ من عزم الأسرة المسلمة أفراداً وجماعات، أبناء وبنات، إنَّها عندما تتمسك بتلك المبادئ مستجيبة لمناشدة الإسلام لها ستفوز برضوان من الله أكبر، وذلك هو الفوز العظيم، **{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**[1].

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية(١٥)

ذكرى المولد النبوي، ويوم الأرض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد أكرمنا الله بنعم لا تعد ولا تحصى، وأكبر نعمة أنعم الله بها علينا هي نعمة الإسلام، ومن فضله علينا أن جعلنا موحدين بالربوبية والإلوهية، ومؤمنين برسالة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

وفي هذه الأيام يعيش المسلمون أياماً مباركة، يتفيَّأون ظلالها، ويتعلمون من دروسها وعظاتها، وما أجمل هذه الأيام! وهي ذكرى ميلاد الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

لقد بزغ الفجر النبوي ليحيي هذه الأمة، ويبعثها من جديد، وليجعل منها أمة مميزة، فهي تتميز بميزتين وهما الخيرية والوسطية، كما قال تعالى في الخيرية: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ}**[1]، والوسطية فهي أمة الوسط (الخيار والأفضل)، قال تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠)

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣)

والرسالة الأخيرة التي جاء بها محمد -صلى الله عليه وسلم- رسالة عامة، وعموم الرسالة الإسلامية جاءت به آيات وسنن، ومن الملاحظات الجديرة بالذكر أن كل ما نزل يفيد عموم الرسالة كان في العهد المكي.

ولأهمية ذلك نقول: إن العهد المكي كان عهد اختناق الدعوة، وكان الإسلام يعاني من جبروت الوثنيين، فكان القرآن يتنزل بهذه الرسالة ليست لقطر معين بل للبشرية كلِّها، ولو أن الآيات التي تتحدث عن عموم الرسالة تنزلت في العهد المدني، أو أواخر أيام الرسالة لقال بعض الناس: نبي نجح في أن يفرض نفسه على قومه في شبه الجزيرة العربية، فأغراه ذلك على أن يوسع نفوذه، لكن والحمد لله فإن عموم الرسالة وعالمية الدعوة تأكدت منذ اللحظات الأولى للدعوة من خلال السور المكيِّة، حيث نجد ذلك واضحاً في آيات القرآن الكريم:

ففي سورة القلم المكية: **{وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}**[1].

وفي سورة الأنبياء المكية: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**[2].

وفي سورة الفرقان المكية: **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}**[3].

وفي سورة سبأ المكية: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}**[4].

وفي الأحاديث الشريفة نقرأ الأحاديث التي تبين أن الإسلام سينتشر في جميع أرجاء المعمورة، فيقول عليه السلام: (ليبلغن هذا الأمر "يعني أمر الإسلام" ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا

---

(١) سورة القلم، الآية (٥٢)

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧)

(٣) سورة الفرقان، الآية (١)

(٤) سورة سبأ، الآية (٢٨)

الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)[1].

فالرسالة الإسلامية العالمية التي حمل لواءها الرسول -صلى الله عليه وسلم- ستبقى ما بقيت الحياة، وستنتشر أنوارها شرقاً وغرباً، كما قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}**[2].

ويوم يزول الإسلام من هذه الدنيا فلن تكون هناك دنيا لأن الشمس ستنطفئ، والنجوم ستنكدر، والحصاد الأخير سيطوي العالم أجمع.

ومن فضل الله على هذه الأمة المحمدية أنه رحيم، وأن رحمته سبقت غضبه: **{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ*وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ}**[3].

كما وصف الله حبيبه محمداً -صلى الله عليه وسلم- صاحب الذكرى بقوله: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}**[4]، فهو -صلى الله عليه وسلم- البشير قبل النذير.

هذا النبي الكريم كان يتنهز كل مناسبة لتبشير الناس وترغيبهم في عفو الله ورحمته، وإظهار فضله وكرمه كيف لا؟ وهو القائل: (يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا)[5].

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١٠٣/٤

(٢) سورة الصف ، الآية (٩)

(٣) سورة الحجر ، الآيتان (٤٩-٥٠)

(٤) سورة الأحزاب ، الآية (٤٥)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولنا بالموعظة ١٦٣/١

ونسوق هنا أمثلة من سيرته العطرة – صلى الله عليه وسلم – والتي تحتاج إليها البشرية في كل زمان ومكان.

* فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم المصلين في مسجده، وإذ به عليه السلام يسمع بكاء طفل؛ فيسرع في الصلاة رحمة بهذا الطفل، مع أن الرسول عليه السلام كان يناجي ربه في صلاته: (أرحنا بالصلاة يا بلال)، ولكن مع ذلك الحب للقاء ربه في الصلاة إلا أن رحمته بهذا الطفل دعته للإسراع في صلاته ، فأيّ رحمة هذه؟ إنّها رحمة الحبيب صلى الله عليه وسلم بأمته، فلماذا لا نتراحم فيما بيننا؟ **{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}**[1]، لماذا لا يرحم القوي الضعيف؟ والغني الفقير؟ ونكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؟

* لقد لقي رسول الله العنت والمشقة من قومه في مكة، فخرج إلى الطائف لعله يجد الأنيس والنصير، وللأسف سبّوه وشتموه حتى سال دمه الزكي الطاهر، فجاءه الملك، وقال: يا رسول الله، أأطبق عليهم الأخشبين؟! قال: لا، اللهم اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون، لعلّ الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله.

وعندما كان الدعاء صادقاً كانت الاستجابة الإلهية، فخرج من صلب أبي جهل عدو الله اللدود الصحابي الجليل عكرمة، وخرج من صلب أمية بن خلف الصحابي الجليل صفوان، وخرج من صلب الوليد بن المغيرة الصحابي الجليل خالد بن الوليد– سيف الله المسلول.

---

(١) سورة الفتح ، الآية (٢٩)

فعلينا أيها الإخوة، إذا رأينا رجلاً مخطئاً، مقصِّراً، ألا نسبه وألا نلعنه، بل علينا أن ندعو الله له بالهداية، وأن يشرح الله صدره، وألا نكون عوناً للشيطان عليه.

وكان عليه السلام رحيماً حتى بأعدائه- الكفار- فقد ورد عنه -صلى الله عليه وسلم- أنّه لم يمثّل بأحد، لم يقطع طريقاً، لم يصادر أرضاً، لم يمنع ماء، لم يفرض حصاراً كما هو الحال مع الفلسطينيين اليوم، حيث يمنعون من التنقل بين المحافظات، ويحاربون في لقمة عيشهم، وتصادر أراضيهم، وتهدم بيوتهم، وتجرف مصانعهم ومزارعهم، ويبتم أطفالهم، وترمل نساؤهم ...إلخ.

لم يستهزئ برسالة من رسالات السماء، بل كان يحترم الديانات الأخرى وأهلها، ويحث أتباعه على ذلك، حيث أرسى الإسلام قواعد احترام الديانات الأخرى وضمان حرية العبادة لهم، لا كما يحدث مع بيوت الله التي تعرضت للقصف والتدمير، ومنع المصلين من الوصول إلى المسجد الأقصى المبارك وغيره من المساجد.

فلماذا نشاهد اليوم الصور القبيحة المشينة بحق الرسول عليه السلام؟ ولماذا هذه الحملة المسعورة على كتاب الله الكريم؟

إنَّ الإسلام كما جاء في القرآن يؤمن ويحترم جميع الرسل: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}**(١).

وتاريخ الإسلام مليء بالصفحات المشرقة في معاملة أهل الكتاب، فالإسلام لم يهدم كنيساً، ولا كنيسة، بل أعلنها صريحة مدوية: **{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ**

---

(١) سورة البقرة ، الآية(٢٨٥)

دِينِ}[1].فلماذا يمنع المسلمون من الصلاة في أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين؟!

لماذا يمنع المسلمون من حرية العبادة في الحرم الإبراهيمي الشريف؟ لماذا هذه الحملة على رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم؟!

ذكرى يوم الأرض

تشهد الأراضي الفلسطينية، والمدن والبلدات العربية داخل الخط الأخضر، في الثلاثين من مارس من كل عام مسيرات ومهرجانات ومظاهرات وإضرابات إحياء لذكرى يوم الأرض، هذه الذكرى التي تأتي تعبيراً عن تمسك وتشبث شعبنا بأرضه ووطنه، حيث سياسة مصادرة الأراضي والاستيلاء عليها، وتشريد أهلها، واغتيالهم وقتلهم، وجدار الفصل العنصري الذي يلتهم الأرض، ويفرق الأهل.

ويجب علينا أن نتوحَّد، ونرصَّ الصفوف في ظل هذه السياسات، فالوطن غالٍ، والأرض غالية، فقد هاجر الرسول الكريم من مكة المكرمة إلى يثرب، وعلَّم الدنيا حبَّ الأوطان، والأماكن المباركة والوفاء لمسقط الرأس، عندما ألقى نظرة الوداع على مكة المكرمة وهو مهاجر منها، وقال كلمته الخالدة: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)[2].

---

(١) سورة الكافرون ، الآية (٦)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب ٦٩باب في فضل مكة ٥/٧٢٢ رقم ٣٩٢٥.

وكان فر ى مكة عزيزا على الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – ، فهذا واحد منهم اسمه أصيل جلس يتكلم عن مكة فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: (يا أصيل دع القلوب تقر فلا تذكّرنا)[1].

أجل فما من الوطن بدّ، وما للإنسان عنه من منصرف أو غنى، في ظله يأتلف الناس، وعلى أرضه يعيش الفكر، وفي حماه تتجمع أسباب الحياة، وما من ريب أن ائتلاف النّاس هو الأصل، وسيادة العقل فيهم هي الغاية، ووفرة أسباب العيش هو القصد مما يسعون ويكدحون، ولكن الوطن هو المهد الذي يترعرع فيه ذلك كلّه، كالأرض هي المنبت الذي لا بدّ منه للقوت والزرع والثمار.

ولا تخفى مكانة فلسطين في الكتاب والسنّة على كل من له إلمام بالعلوم الدينية والدراسات الإسلامية، فيعرف حتماً –من غير شك ولا ريب– أن فلسطين جزء من بلاد الإسلام، وفيها المسجد الأقصى المبارك الذي شرّفه الله تعالى بالتقديس، وجمع فيه الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج تكريماً لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**[2].

إن الواجب على الأمتين العربية والإسلامية مساندة هذا الشعب، ودعم المرابطين في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس: "لا تزال طائفة من أمتي

---

(١) كنز العمال ١٢/ ٢١٠ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية(١)

ظاهرين على الحق ولعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمـــر الله وهم كذلك، قيل أين هم؟ يا رسول الله، قال: ببيـــت المقـــدس وأكنـــاف بيـــت المقدس"[1].

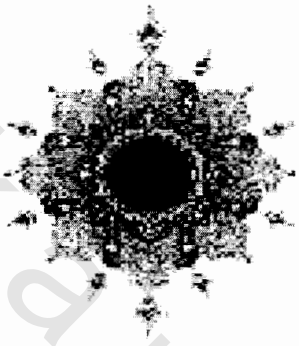

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٥/٢٦٩

obeikandl.com

قيمة العمل في الإسلام *

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين، أما بعد:

من مزايا شريعة الإسلام، أنها فتحت أبواب العمل الصالح، ووسَّعت دائرته، وجعلته من القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى خالقه، من أجل إعلاء كلمة دينه، وإعزاز شأن شريعته.

وصدق الله إذ يقول: **{يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ}**(١).

ويقول: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**(٢).

ويقول: **{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**(٣).

ويقول: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَارَبُّكَ بِظَلامٍ لِّلْعَبِيدِ}**(٤).

---

* يوافق يوم العمال العالمي الأول من شهر مايو (أيار) من كل عام .

(١) سورة الانشقاق ، الآية (٦)

(٢) سورة الملك ، الآية (١٥)

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٠٥)

(٤) سورة فصلت، الآية (٤٦)

ويقول: { **وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**} (١).

ولقد بيَّن لنا النَّبي – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث كثيرة. أن طرق العمل الذي أحله الله تعالى متعددة، وأن أنواعها لا تكاد تعد ولا تحصى، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي أكدت ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه)(٢).

ويقول أيضاً: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)(٣).

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد في الإسلام عيدان فقط هما: عيد الفطر وعيد الأضحى، وما عدا ذلك فإنها مناسبات وذكريات.

أما ما يسمى بعيد العمال الذي يُحتفل به في الأول من أيار، فما هو إلا ذكرى لثورة عمال أمريكا على الظلم عام ١٨٨٧م، حيث كانوا مستعبدين، حقوقهم منقوصة ومهضومة، وظروف عملهم سيئة، وأجورهم زهيدة.

أما في الإسلام، فلا نقص في الحقوق ولا هضم، حيث أعطى الإسلام كل ذي حق حقه، قال تعالى: {**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**}(٤).

---

(١) سورة النور، الآية (٥٥)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ٣/٣٣٥

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع(١٥) باب كسب الرجل وعمله بيده ٤/٣٠٣

(٤) سورة التوبة، الآية (١٠٥)

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}[١].

وقال تعالى: {إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا}[٢].

وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٣].

كما وبيَّن رسولنا – صلى الله عليه وسلم– حقوق العمال، وحقوق أرباب العمل في الحديث الذي يرويه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطي بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)[٤].

ويقول: (أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه)[٥].

ويقول: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)[٦].

ويقول: (أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)[٧].

فالعمل في الإسلام يجب أن يكون عملاً مشروعاً لا يتطرق إلى الضرر ولا يتطرق إليه الحرام، ولنا في قصة البنت الصالحة مثال رائع، حيث سمعها الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو يتفقد الرعية فجراً، ترفض طلب أمها أن تخلط الحليب ماء ليزداد كماً وحجماً، قائلة لها: إن كان أمير

---

(١) سورة المائدة، الآية (١)

(٢) سورة الكهف، الآية (٣٠)

(٣) سورة النحل، الآية (٩٠)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع باب إثم من باع حرا ٤١٧/٤

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤٦/١

(٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٧٥/١

(٧) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب البيوع باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده ٢٩٠/٣

المؤمنين بعيداً عنا فإن رب أمير المؤمنين قريب، فإن نجونا من عقاب الدنيا فلن ننجو من عقاب الآخرة، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

هذا هو الإسلام، عطاء صادق، وأجر غير منقوص، ومن هنا لم يكن العمال المسلمون بحاجة إلى ثورة على أرباب العمل، لأن الإسلام قد كفل لهم الحقوق، وأما إذا حدث شيء من ذلك، فإنَّما هو نتيجة لإخلال أحد الطرفين بمبدأ العدل الإسلامي، فإمَّا أن يهمل العامل في عمله ، وإما أن يستغل رب العمل عماله، والإسلام بريء من ذلك الإخلال في الحالتين كلتيهما.

إن الذين يقرأون سير الأنبياء والرسل الكرام يزدادون إيماناً بقيمة العمل وإدراكاً لمنزلة العاملين، ذلك أن الأنبياء والرسل كلهم كانوا يعملون، ومرة أخرى على سبيل المثال لا الحصر نذكر أن سيدنا داود عليه السلام كان حدّاداً، وسيدنا نوحاً عليه السلام كان نجّاراً، وكان سيدنا موسى عليه السلام راعي غنم وكذلك كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولقد اقتدى الصحابة رضوان الله عليهم برسولهم الكريم، فلم يركنوا إلى الكسل أو يقعدوا عن طلب الرزق، بل كانوا جميعاً يعملون، لقد كان الصحابي الأول أبو بكر رضي الله عنه تاجر قماش، وكان الزبير بن العوام خيّاطاً، وكان عمرو بن العاص جزّاراً.

وكيف لا يعملون؟! وفي دستور حياتهم القرآن الكريم أمر صريح بضرورة العمل...يقول الله تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}**[1]، ويقول جل شأنه: **{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ**

(١) سورة الملك ، الآية(١٥)

فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1].

ثم إنَّ رسولهم الكريم، الأسوة الحسنة لهم ولنا ولكل من يرجو الله واليوم الآخر يحذرهم من التسول أو الحياة بلا عمل...فيقول صلوات الله وسلامه عليه: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه...".

ويقول كذلك: "من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر".

إن العمل شرف مهما كان متواضعاً، فقد روي أن أحد الأمراء مر على عامل نظافة وهو يكنس الشوارع وينشد قائلاً:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقال الأمير للعامل: وأي إكرام هذا الذي أكرمت به نفسك وأنت تعمل كناساً؟!

فقال: إن عملي هذا أفضل من أن أقف على أبواب اللئام أمثالك يعطونني أم يمنعونني.

إن الواجب علينا جميعاً تشجيع الإنتاج الوطني، لما يمثل ذلك من دعم للاقتصاد الوطني الفلسطيني، كما ونناشد أصحاب المصانع بأن يحافظوا على جودة منتوجاتهم كي تبقى دائماً في المقدمة، فنحن نعلم مدى المنافسة التي يتعّرض لها الإنتاج الوطني الفلسطيني من أجل القضاء عليه.

---

(١) سورة الجمعة ، الآية(١٠)

كما أننا نناشد الأشقاء العرب بضرورة فتح المجال لاستيعاب عدد من أبناء شعبنا في مختلف المجالات والتخصصات، حيث إنّ هناك أكثر من ربع مليون عامل أصبحوا عاطلين عن العمل، وهؤلاء يتولون رعاية مئات الآلاف من الأسر، وكذلك استيراد المنتوجات الفلسطينية والتي تباع بثمن بخس مثل الطماطم، والخيار، والبطاطس، والتوت الأرضي، وأحيانا يلقى به في الطرقات، وغدا سيأتي موسم الحمضيات، والزيتون، لذلك نقترح إنشاء مصانع ولو متواضعة لاستيعاب هذه المنتوجات المحلية ليعيش العامل وصاحب العمل، والمزارع، والسائق وشرائح عديدة من المجتمع، و كلنا ثقة وأمل في الله ثم في أشقائنا وأحبتنا بأن يقفوا مع هذا الشعب المرابط الذي يدافع عن كرامة الأمتين العربية والإسلامية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم